تقرير

خليل حرب
Khalilharb66@gmail.com

بينها دولة فلسطين ومذكرات لاهاي واشتعال المقاومة 4 صفعات لنتنياهو: هل يوقف الحرب؟

4 صفعات تقول ان الخناق ضاق حول بنيامين نتنياهو: تصويت الجمعية العامة للامم المتحدة حول اهلية عضوية دولة فلسطين، ثم مذكرات طلب اعتقال عن المحكمة الجنائية في لاهاي، ثم اعلان اسبانيا والنرويج وايرلندا اعترافها بالدولة الفلسطينية، بالتزامن مع اشتعال المقاومة في شمال قطاع غزة، المفترض انه محتل و"مطهر" منذ شهور

لم تعد الحرب في غزة والمستمرة منذ 8 شهور على حالها. هذه التطورات الاربعة، تقول انها دخلت منعطفا جديدا. ان الغضب في حرم الجامعات الاميركية والاوروبية، هي قصة اخرى لها مدلولاتها الكبيرة ايضا. لكن هذه الاحداث الاربعة، تظهر ان حكومة الكيان الاسرائيلي، لم تعد حرة كما كانت في حرب الابادة التي حصدت حتى الان اكثر من 120 الف شهيد وجريح، ودمرت نحو 60 % من مباني غزة وبيوتها.

الثابت حتى الان ان مفاوضات الاسرى في اسوأ حالاتها، ما بين الدوحة والقاهرة وباريس، وفي كل التسويات التي طرحت، كانت المواقف متباينة، لأن ما يريده نتنياهو، متعارض تماما مع المنطق: حماس والفصائل الفلسطينية تريد وقفا كاملا للحرب، وهذا موقفها البديهي بعد كل هذا الموت والدمار، بينما يريد نتنياهو و"عصابته" من الوزراء المتطرفين، ان يكون الاتفاق مجردة هدنة موقتة، لاخراج اكبر عدد ممكن من الاسرى الاسرائيليين، على ان يكون في مقدور الجيش الاسرائيلي، استئناف حرب الابادة والتهجير.

تقول وسائل اعلام اسرائيلية، بينها "القناة 13" نقلا عن مسؤولين اسرائيليين ان المفاوضات في اسوأ احوالها بسبب مواقف نتنياهو، وان زعيم حماس في غزة يحيى السنوار هو المنتصر سواء ابرمت الصفقة او لم تبرم، حيث يشعر بثقة بأنه المنتصر في كلتا الحالتين.

وعلى الرغم من هذا التعثر في مسار التفاوض، فان الكثير من النقاشات تجري في الكواليس، وبين عواصم عربية وغربية، تبدو منصبة اكثر على "اليوم التالي"، وليس على وقف الحرب نفسها، بناء على نشرته صحيفة "جيروزالم بوست" في ما يتعلق بخطط اسرائيل في ما بعد الحرب، بناء على وثائق من مكتب رئيس الوزراء الاسرائيلي والتي تتصور التالي فيما يتعلق باعادة غزة الى الحكم الذاتي:

المرحلة الاولى: تستمر هذه المرحلة 12 شهرا تحت عنوان المساعدات الانسانية، حيث تقيم اسرائيل خلالها "مناطق آمنة" خالية من سيطرة حماس، بدءاً من الشمال وانتشاراً ببطء نحو الجنوب، في حين سيقوم تحالف من دول عربية (السعودية والامارات ومصر والبحرين والاردن والمغرب) بالاشراف على توزيع المساعدات في "المناطق الامنة".

اما المرحلة الثانية، فهي تتضمن ادارة فلسطينية لغزة في "المناطق الامنة" باشراف الدول العربية، وهي تمتد في السنوات الخمس والعشر القادمة، تتولى خلالها اسرائيل المسؤولية الامنية بينما يقوم العرب بتشكيل ما يسمى هيئة اعادة تأهيل غزة (GRA) تتلوى الاشراف على جهود الاعمار وادارة الشؤون المالية للقطاع، وهي مرحلة ستتضمن ايضا تنفيذ "خطة مارشال" وتطبيق برنامج لمكافحة التطرف.

اما المرحلة الثالثة بحسب هذه الوثائق الاسرائيلية، والتي تسمى "الحكم الذاتي"، فانها ستشهد احتفاظ اسرائيل بحق التحرك ضد "التهديدات الامنية"، بينما سيتم نقل السلطة ببطء اما الى حكومة محلية في غزة او الى حكومة فلسطينية موحدة (بما في ذلك الضفة الغربية)، الا ان هذه الخطوة مشتركة بنجاح جهود نزع التطرف والسلاح في قطاع غزة، على ان يكون في مقدور الفلسطينيين بعدها ادارة غزة بشكل كامل مع انضمامهم الى "اتفاقيات ابراهيم".

بالتزامن مع تزايد الحديث عن صفقات اقليمية تطرحها ادارة الرئيس الاميركي جو بايدن في اطار التسوية المتعلقة بحرب غزة، فان التقارير الاعلامية تتناول افكارا متبادلة لدفع التطبيع بين السعودية واسرائيل، في وقت خرجت القمة العربية في المنامة ببيان ختامي دعا الى نشر قوات حفظ سلام دولية تابعة للامم المتحدة في الارض الفلسطينية المحتلة الى حين تنفيذ حل الدولتين. لكن بالتزامن مع ذلك كله، قالت صحيفة "فايننشال تايمز" البريطانية، ان الدول العربية الثلاث مصر والامارات والمغرب طلبت اعترافا اميركيا بـ"دولة فلسطين" قبل مشاركتها في قوة استقرار غزة ما بعد الحرب، وهو ما لا تبدو ادارة بايدن، رغم ادعائها دور الوساطة، مستعدة للقيام به برغم بدء دول اوروبية باعلان اعترافها بهذه الدولة.

لم تمض ساعات على اعلان حكومات اسبانيا والنرويج وايرلندا اعترافها بدولة فلسطين كسبيل نحو الوصول الى "حل الدولتين" (الذي تعارضه حكومة نتنياهو بالكامل وتحاول تدميره بالفعل عسكريا منذ ما قبل هجوم 7 تشرين الاول 2023)، حتى اعلن البيت الابيض ان بايدن يعتقد ان اقامة دولة فلسطينية يجب ان يتم من خلال المفاوضات المباشرة وليس عبر الاعتراف بها من جانب اطراف منفردين.

جاء هذا الموقف الاميركي السلبي من الاعتراف بالدولة الفلسطينية، بعدما استخدمت ادارة بايدن الفيتو في مجلس الامن الدولي في نيسان الماضي، ضد مشروع قرار يستهدف التمهيد للاعتراف بهذا الحق الفلسطيني، وبعد ايام على تصويت الجمعية العامة للامم المتحدة في 10 ايار الماضي، باغلبية ساحقة (143 دولة) على احقية دولة فلسطين بالعضوية الكاملة في الامم المتحدة (وهو قرار عارضته واشنطن ايضا)، علما ان فلسطين دولة بصفة مراقب لكن غير عضو، وفق قرار للجمعية العامة اتخذ في 29 تشرين الثاني العام 2012.

شكل تصويت الجمعية العامة، ثم سلسلة الاعترافات من جانب حكومات اوروبية (اسبانيا والنرويج وايرلندا) والتي قد تنضم اليها ايضا مالطا وسلوفينا واوستراليا بعد اعترافات سابقة من جانب المجر، بولندا، التشيك، رومانيا، سلوفاكيا، وقبرص، والسويد، صفعة ديبلوماسية - سياسة كبيرة لحكومة نتنياهو.

المهم ان اسرائيل جن جنونها، وبدلا من ضبط تصرفاتها واجرامها، فانها على ما يبدو تسعى الى الهروب الى الامام. تستدعي سفراءها من الدول الثلاث، وتدرس كيفية اللجوء الى اجراءات عقابية ضد هذه الدول، وتقرر حجب اموال السلطة الفلسطينية للامعان في اضعافها وانهيارها، وفرض عقوبات على وزراء ومسؤولي السلطة وعائلاتهم، وتعتزم تعزيز الاستيطان في الضفة الغربية المحتلة بقرار سريع لاقامة 10 الاف وحدة استيطانية جديدة، الى جانب التهديد باقامة مستوطنة في مقابل كل دولة تعترف بالدولة الفلسطينية.

ظهرت المزايدات الاسرائيلية سريعا، من وزير المال بتسلئيل سموتريتش في ما يتعلق بالاجراءات العقوبات المالية، ومن وزير الامن القومي ايتمار بن غفير الذي يهدد باقتحام المسجد الاقصى، ومن وزير الدفاع يواف غالانت الذي الغى ما يسمى قانون "فك الارتباط" في شمال الضفة الغربية، وهي خطوة تعني استباحة هذه المنطقة امام اقامة البؤر الاستيطانية، معلنا "لقد تمكنا من استكمال الخطوة التاريخية، السيطرة اليهودية على يهودا والسامرة (الضفة ◄

لمَن المحكمة؟

فضح المدعي العام في المحكمة الجنائية الدولية كريم خان ما يجري في كواليس العدالة الدولية والسياسية الدولية. ففي مقابلة مع شبكة "سي ان ان" الاميركية، كشف تعرضه للتهديد بسبب طلبه اصدار مذكرات الاعتقال ضد نتنياهو وغالانت، حيث تحدث عن قول زعيم غربي منتخب له ان هذه المحكمة "انشأت من اجل افريقيا ومن اجل السفاحين مثل فلاديمير بوتين"، بحسب تعبيره.

كما اشار الى "التهديد" الذي تلقاه من اعضاء في الكونغرس الاميركي، وغالبيتهم من الجمهوريين، كتبوا فيها "استهدفوا اسرائيل وسنستهدفكم. اذا مضيتم قدما في الاجراءات، فسنتحرك لانهاء كل الدعم الاميركي للمحكمة الجنائية الدولية ومعاقبة موظفيكم وشركائكم، وحظركم وعائلاتكم من الولايات المتحدة. لقد تم تحذيرك".

الغربية)". اما وزير الخارجية يسرائيل كاتس، فقد استدعى سفراءه، ووجه توبيخات الى سفراء الدول الثلاث، ويعتزم حظر دخول الديبلوماسيين الاوروبيين الى الضفة الغربية، ومنع وصول المساعدات الاوروبية الى الفلسطينيين.

تشكل اهمية انضمام اسبانيا الى الدول المعترفة بفلسطين انها كانت الراعية لما سمي وقتها "عملية مدريد للسلام" في العام 1991. اما اهمية انضمام النرويج، وهي دولة ليست عضوا في الاتحاد الاوروبي، انها كانت لسنوات طويلة الراعية "لاتفاقيات اوسلو" التي مهدت الطريق ثم حققت اختراقا في ابرام تسوية بين منظمة التحرير الفلسطينية بقيادة ياسر عرفات، وبين اسرائيل، وقيام السلطة الفلسطينية. جنون اسرائيل قد تفاقم قبل ذلك بايام من خلال الصفعة التي تلقتها من المحكمة الجنائية الدولية، بعدما قرر المدعي العام في المحكمة اصدار مذكرات توقيف في حق نتنياهو وغالانت (بالاضافة الى عدد من قادة حماس)، وهي خطوة عارضتها ايضا ادارة بايدن.

وكان المدعي العام للمحكمة كريم خان قدم طلبات لاصدار اوامر قبض في حق 3 من قيادات حركة حماس (اسماعيل هنية، يحيى السنوار، ومحمد الضيف)، اضافة الى نتنياهو وغالانت اللذين اتهمهما بانهما قد يتحملان المسؤولية الجنائية عن جرائم حرب وجرائم ضد الانسانية ارتكبت في قطاع غزة اعتبارا من 8 تشرين الاول، من خلال تجويع المدنيين، والحاق معاناة شديدة واذى خطير بالناس، والقتل العمد، وتوجيه هجمات ضد المدنيين، والابادة والقتل العمد، والاضطهاد، وافعال غير انسانية اخرى، وذلك عملا بسياسة دولة اسرائيل.

اكثر من 120 الف شهيد وجريح ونتنياهو يريد هدنة ليستأنف حربه

لكي تكتمل الصفعات دويا، فان التسويق الاسرائيلي لاسابع عدة ان معركة غزة حسمت، لكن "النصر" لن يتحقق سوى بعد غزو رفح، بدا كلاما في الهواء. ففي 22 ايار الماضي، اي بعد اكثر من 7 شهور على بداية الحرب، ذكرت اذاعة الجيش الاسرائيلي ان 10 الوية للجيش تقاتل حاليا في انحاء غزة، وهو اكبر عدد من الالوية المقاتلة منذ بداية العام 2024.

وقد اظهرت صور الاشتباكات الجارية في قطاع غزة، خصوصا في مناطق الشمال وتحديدا في مخيم جباليا وفي الوسط، وفي اتجاه رفح التي احتلت اسرائيل الجانب الفلسطيني من هذه الحدود مع مصر، ان عناصر المقاومة الفلسطينية ينزلون خسائر جسيمة بالجنود الاسرائيليين، من خلال عمليات القنص وتفجير العبوات بالدبابات والعربات المدرعة والمنازل المفخخة، وحتى من مسافات قريبة. وللعلم، فان اسرائيل كانت اعلنت انها استكملت السيطرة على مخيم جباليا و"طهرته" من مقاتلي حماس، ثم غادرته في بداية كانون الثاني الماضي، اي قبل نحو 5 شهور. لكنها وجدت نفسها الان، بعد كل هذا الوقت، تحارب في مستنقع يوقع خسائر جسيمة بجنودها.

وكان البدء بسحب الالوية المقاتلة من غزة خلال الشهور الخمسة الماضية مع تراجع الحاجة اليهم في معارك القطاع الفلسطيني وتزايد وقوع الخسائر في صفوفهم، عزز التقديرات القائلة والمعلومات ايضا، بأن اسرائيل تنقلهم في اتجاه الجبهة الشمالية مع لبنان، استعدادا لعدوان على الاراضي اللبنانية. لهذا، فان خروج وحدات المقاومة الفلسطينية بزخم قتالي اكبر الان، قد يكون اربك الحسابات الاسرائيلية مجددا بالاستنزاف الحاصل في غزة الان، واضطرار الجيش الاسرائيلي الى التواجد على "جبهتين" في ان واحد، وربما 3 جبهات، طالما ان المشهد في الضفة الغربية يشهد التهابا هو الاخر.

وقد تترافق الصفعات الاربع التي تلقتها اسرائيل في غضون ايام، مع شعور ادارة بايدن، بالمزيد من الحرج السياسي مع تزايد حماوة الانتخابات الاميركية في وقت يستعد بايدن لأول مناظرة تلفزيونية مع خصمه الجمهوري دونالد ترامب في 27 حزيران الجاري، في وقت تضغط اجواء الجامعات الاميركية بثقلها الرمزي والشعبي على مسؤولي الادارة الاميركية، بسبب انحيازهم الكامل في حرب باتت توصف بانها مثابة "نكبة ثانية"، ويراها الاسرائيليون خطورتها باهمية حرب قيام كيانهم العام 1948.

Laveluxe